٢٨

أبو سلام سليمان بن سعيد الكندي (ت: ١٩٦٠م) ومدائحه في الإمام الخليلي؛ قراءة دلاليَّة

أ. د. عيسى بن محمَّد بن عبد الله السليماني
أستاذ الأدب والنقد العربي الحديث، كلية العلوم التطبيقيَّة، نزوى - سلطنة عُمان
issaa55@yahoo.com

ملخص:

نظم أبو سلام الكندي عدة قصائد في مديح الإمام الخليلي، وهناك جملة من القصائد الأخرى تحضر فيها شخصيَّة الإمام، وإن لم تكن قد قيلت فيه. وتروم هذه القراءة إبراز ما اكتنزته مفردات النص المدحي دلاليا عند أبي سلام الكندي في شخصيَّة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي، الذي أرسى دعائم الموطن العُماني بالداخل، وساعد على استقراره، رغم العقبات التي مني به العالم العربي إبان تلك الحقبة. كما أن شخصيته المميزة في شجاعتها وتواضعها أخجلت الشعراء والواصفين، لذا انبرت المفردات الشعرية متجلية في إبراز صفاته؛ قدوة للآخرين. ستقرأ هذه الورقة البعد الدلالي في هذا الشعر من خلال مبحثين: الصورة التركيبة، والصورة المعجمية، وصولا للبعد الدلالي الذي كونه ذلك البناءان، مستفيدة من المناهج النقدية المعاصرة كمنهج التلقي والوصفي والتأويل والتحليل. جاءت هيكلة النص الشعري الخارجي لأبي سلام محاكية للنص القديم في الوزن والقافية، والمكونات الأخرى. وتحمل المفردات المعجمية لغة واضحة؛ غايتها إبراز صفات القائد الشهم، والدعوة للوقوف معه؛ حماية للوطن. وقد اتسمت لغة النص الشعري عند أبي سلام، بالخطابية والمباشرة؛ كونها تدعو إلى التحفيز والاستنهاض، والمدح الإيجابي.

كلمات مفتاحية: أبو سلام. مدائح. البعد الدلالي.

مقدِّمة:

عُمان بلد له عمق تاريخي متجذر على مدى الحقب التاريخية، تعاقبت عليها دول حكمتها عبر القرون، واستمر تتابع الحكومات والدول واحدة بعد الأخرى، تاركة وراءها إرثا حضاريا ضاربا في الأعماق، متنوعا بين الحضارة والعلم والسياسة. ونظرا للبعد القبلي والديني والسياسي، نجد عُمان في بعض الفترات يحكمها حاكمان، مثلها مثل الحكم الذاتي. وقد حدث هذا الأمر في أواخر القرن الثالث عشر الهجري حيث حكمت عُمان الداخل إمامة عُمان، هذه الحكومة استطاعت التوافق مع حكومة عُمان في مسقط.

إن الفضاء الزمني، والعمل الأكاديمي المسؤول، لا يسمح بالتوسع تاريخيا في هذا المضمار، لكن المتلقي يمكنه التوقف عند تلك الأحداث من خلال الكتب الموسوعية في الجوانب التاريخية. فكتاب "تحفة الأعيان" للإمام نور الدين السالمي والكتب التاريخية الأخرى حرية بأن تشبع الباحث اطلاعًا على تلك الأحداث.

تهدف هذه الورقة إلى قراءة شخصيَّة فذة، وقامة من قامات عُمان، أضاءت الآخرين بفكرها المستنير، بهدى العلم والسياسة والدين، ألا وهو الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي، فوطّد أركان القطر العُماني، وزرع التعايش السلمي الآمن مع الأطراف المجاورة، وهي أعمال سجلتها أقلام المؤرخين، وأنطقت ألسنة الشعراء المبدعين، أمثال شاعر الوطنية والحرية أبو سلام الكندي. وأبو سلام سليمان بن سعيد بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمَّد بن سليمان بن محمَّد بن بلعرب الكندي ولد في محلة السويق بسمد نزوى عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٠م، في بيت علم وأدب وفقه. فأخوه عيسى بن سعيد شاعر وأديب له قصائد مشهورة، نشرت في الصحف العُمانيَّة المهاجرة في أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، وأخوه أحمد بن سعيد مثقف وواعٍ، وكان مشرفا على البعثة العُمانيَّة التعليمية إلى بغداد سنة ١٩٤٠م، على نحو ما وجدنا من رسالة رسمية خطها له السلطان سعيد بن تيمور نفسه وعدّه "رائد البعثة التعليمية المرسلة من قبله لتلقي العلم في مدارس القطر العراقي"، أمَّا أخوه صالح بن سعيد فقد كان شاعرا أيضا، وقد عثرنا له على قصيدة فريدة نشرت مبكرا في صحيفة "الفلق" بتاريخ ١١/٥/ ١٩٣٢م، في

وصف الشام والحنين إلى دمشق التي يبدو أنَّه زارها في تلك الفترة المبكرة[١].

تلقى أبو سلام تعليمه على والده سعيد بن ناصر الكندي، ثمَّ انتقل معه إلى العامرات، ومن ثمَّ إلى وادي بوشر التي "تولى فيه إدارة الأوقاف نيابة عن أبيه، ثمَّ عاد إلى نزوى، وعاش فيها بقية عمره عيشة البساطة والقناعة"، كما يصفها الأستاذ عبد الله الطائي في ترجمته له. وفي سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٣م. نُفِيَ أبو سلام إلى الهند لاتهامه بمعارضة الاستعمار وسياسة السلطان تيمور، ولما عاد من منفاه حطت رحاله في ديار أهله وأجداده "نزوى". وعاش فيها إلى أن توفي ودفن في مقبرة "الحظيرة" بتاريخ الرابع من رمضان سنة ١٣٧٩هـ الموافق لـ مارس ١٩٦٠م. وأبو سلام أحد رجال عُمان البارزين في تاريخها القريب، وكانت له أدوار إصلاحيَّة مرموقة.

تروم هذه القراءة إبراز ما اكتنزته مفردات النص المدحي دلاليا عند أبي سلام الكندي في شخصيَّة الإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي، الذي أرسى دعائم الموطن العُماني بالداخل، وساعد على استقراره، رغم العقبات التي مني به العالم العربي إبان تلك الحقبة. كما أن شخصيته المميزة في شجاعتها وتواضعها أخجلت الشعراء والواصفين، لذا انبرت المفردات الشعرية متجلية في إبراز صفاته؛ قدوة للآخرين.

وديوان أبي سلام الكندي بقصائده الداعمة والداعية إلى صوت اليقظة والحرية، حافلة بتلك الدرر الشعرية المخلّدة لمناقب الإمام الخليلي، وجهوده العلمية والعمليَّة، والتي أبانتها نصوصه المسجلة للأحداث الطيبة التي قدمها، ومن ذلك قصيدته التي مطلعها (بحر الكامل):

روتِ السيوفُ تصادمَ الأقرانِ وحكى الصحاحُ مصارعَ الشجعانِ[٢]

هذه القصيدة جاءت في أربعة وخمسين بيتا مخلدة حادثة نخل، وهي أحد نصين محللين في هذا البحث. ولم تتوقف نفثات الشاعر الوطني أبي سلام عند النص

١) أبو سلاَّم الكندي، سليمان بن سعيد: ديوان نشر الخزام، إعداد: عيسى السليماني، ومحسن الكندي، ومصطفى الكندي، ط١، ذاكرة عمان، مسقط، ٢٠١٦م، ص١٠.

٢) المصدر نفسه، ص٦١-٦٤.

السابق، بل وصف أرضية المعركة، وما تجلى بعدها من انتصار، وبعث رسالة تهنئة حملت في طياتها بعدا إيجابيا للإمام وجنده، إثر واقعة حدثت بعبري. وقد حملت هذه القصيدة -أيضا- بُعدًا عكسيًّا للخصم جراء ما أصيب به من هزيمة وانتكاس. لم تكن القصيدة مجرد مناقب يعددها الناظم مثل ما كانت عليه القصيدة المدحية الجاهلية، بل حملت ضمن متتالياتها الفكرية أبعادًا ذات حمولات ارتبطت بالدين والأخلاق. هذه القصيدة جاءت في ثلاثة وثلاثين بيتا استهلها بقوله (بحر الرمل):

نفخَ النصرُ فهبُّوا مسرعينْ وارفعوا الرايةَ بينَ العالمينْ[1]

واستمرت عطاءات شاعر الوطنية في نظم المزيد من النصوص؛ تسجيلا للأحداث التي تحقق فيها النصر والتفوق من قبل الإمام الخليلي على أعدائه ومناوئيه، ومن ذلك قوله في قصيدة صدّرها بقوله (بحر البسيط):

اليومَ أصبحَ هذا القطرُ مبتسما وأصبحَ الدهرُ يبني كلَّ ما هُدما[2]

وقد أبرزت نصية القصيدة مناقب الإمام وأصحابه، على مستوى عشرين بيتا، سجل فيها حادثة عبري، واصفا الواقعة بلغة خطابية سهلة، غايتها التحفيز والاستنهاض، هذه القصيدة هي الأنموذج الثاني من هذا البحث.

لم يكتف الشاعر بما سجله من سابق القصائد في الإمام الخليلي، بل تواصلت شحناته الإيجابية في التفاعل مع الأحداث والمعارك التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى بين الإمام وخصومه. فقصيدته التي جاءت بلغة السيف، في قوتها وخطابيتها، سجّلت أحداثا جساما وقعت في عبري كذلك. هذه القصيدة مطلعها (مجزوء الرجز):

بالسيفِ قمْ وذرِ القلمْ فالسيفُ يجلو كلَّ همْ[3]

لقد تعمقت اللغة الخطابية في هذا النص المشبع بلغة الحماسة والقوة اللفظية

١) المصدر نفسه، ص٧٢- ٧٣.
٢) المصدر نفسه، ص٧٤.
٣) المصدر نفسه، ص٧٦- ٧٩.

والدلالية، على مدى ستين بيتا، مناديا القوم بالالتفاف مع الإمام، والوقوف معه صفا متينا؛ انتصارا للحقِّ وسحقا للباطل. واستمرت تتوالى الدلالات المبثوثة من قبل أبي سلام؛ إعجابا بهذه الشخصيَّة، فجاءت قصيدته التي اكتنزت مفرداتها بوصف لحظات النصر الفارقة، والبشرى التي عمت السهل والجبل، وكان ذلك في حادثة الحمراء، حيث تعدت أبياتها أربعة وأربعين بيتا مطلعها (بحر الوافر):

ألا بشرى إمامَ المسلمينا بنصرٍ منْ إلهِ العالمينا[١]

إذا كنا قد توقفنا إشاريًّا مع القصائد المباشرة في مدائح الخليلي، وتسجيل انتصاراته، فهناك من القصائد التي لم تغفل ذكر الإمام ومآثره، وذلك بلغة التناص التاريخي، والتعالق الديني والثقافي. وكلُّ ذلك جليٌّ في أغلب قصائد الديوان.

بعد تلك المساحة البادئة، التي مهدت لنا قراءة الأبعاد النصية التاريخية والثقافية والسِّياسيَّة، لمدائح أبي سلام في شخصيَّة الإمام الخليلي. ننتقل بالمتلقي مع وقفة متأنية، تحاول قراءة البعد الدلالي، هذه الأبعاد الدلالية عمقت الرؤية الدالة، وأعطت بعدا تصوريا، إذ الصورة لوحة تشكيلية، وأداة مُهمة في بناء القصيدة، وتتجلى تلك الصورة من المضاعفة الدلالية التي تأتي نتيجة الترابط بين الوحدات المكونة للصورة. فالصورة ودورها الوظيفي يبرز من خلال البعد الدلالي الذي تحققه، ومن خلال التلاحم البنائي المتنامي مع لغة النص، الذي يُظهر الصورة بشكل فني كـ "اللوحة في الرسم الفني، فكما أننا لا نستطيع إطلاق مصطلح اللوحة على أحد عناصرها المكونة لها، فإننا كذلك لا يمكن أن نطلق مصطلح الصورة على أحد عناصرها المكونة للعمل الشعري"[٢]، إذ كل عنصر يُسهم في بناء هذه الصورة، ويضيء زاوية من جوانبها. فالاتصال بين الأجزاء والوحدات المكونة للنص تولّد الصورة. "ولما كان العمل الشعري يصدر عن تجربة خاصَّة متميزة، فإن كل قصيدة - بالتالي - تحتفظ لنفسها بشخصية مستقلة

١) المصدر نفسه، ص٨٠ – ٨٣.

٢) الطريسي، أحمد أعراب: النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية، مرقون بمكتبة الباحث، د. ط، د. ت، المغرب، ص٢٧.

ومتفرّدة تفرّد التجربة التي تعبّر عنها"[1]. فكل قصيدة لها خصوصيات بنائية/ تكوينية تميزها عن غيرها؛ وبذلك تكون كُلُّ قصيدة بناء مستقلا عن الأبنية الأخرى.

تبدأ الصورة من التركيب الأسلوبي لتصل إلى التصور الدلالي، وعليه ستقرأ هذه الورقة البعد الدلالي في شعر المديح لأبي سلام الكندي للإمام محمَّد بن عبد الله الخليلي من خلال مبحثين: الصورة التركيبة، والصورة المعجمية، وصولا للبعد الدلالي الذي كونه ذلك البناءان، مستفيدا من المناهج النقدية المعاصرة في دراسة ذلك البعد، كمنهج التلقي والوصفي والتأويل والتحليل.

التركيب وبعده الدلالي:

من الأدوات البانية لمنظومة النص الشعري التركيب؛ كونه أساسا في بناء ذلك النسق الشعري. وتقوم على أنظمة الشعر اللغوية مجموعة من الجمل والتراكيب المتتابعة والمترابطة، والمتمتعة بوحدة بنيوية. ويشكِّل ذلك الترابط ما يُسمى بالنص، وبذلك يجد النص نفسه مشدودا لسلطة البناء اللغوي، إلاَّ أنَّه لا يلبث أن ينزاح التركيب النحوي من رعاية النحاة واللغويين إلى البلاغيين. وسنحاول إبراز لغة العلاقة بين البناء اللغوي والدلالة المعجمية، ضمن نموذج يجلي لنا تلك الحيثيات وفق سياقها النصي.

إن لغة البناء العمودي للنص الشعري عند شعراء العصر الحديث يحاكي لغة البناء الجاهلي، فالقصيدة في بعدها المعجمي تحمل في الغالب معاني متعددة؛ ممَّا تجعل القارئ يعيش بين مدلولات مختلفة في ظاهرها، على الرغم من انسجامها إيحائيا، ولمنهجية البحث الذي يحاول رسم صورة الممدوح عند أبي سلام كقائد وإمام، يجعلنا نستل من النص ما يتناسب والدلالة المطروحة، مع الإشارة لكلية النص؛ لكونه يمثل رؤية عامَّة لمرجعية الصورة.

النص الأول: صيغ لتخليد حدث قام به الإمام الخليلي إبان توحيد البلاد إلى مؤسسة واحدة وفق إدارة مركزية. حاول الشاعر فيه بث ما في داخله من إعجاب

---

١) الطوانسي، شكري: مستويات البناء الشعري عند محمَّد إبراهيم أبي سنة؛ دراسة في بلاغة النقد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٩٨.

لتلك البسالة، والتضحيات التي استمات الإمام وجنوده فيها؛ حبا لاستقرار الأمن في البلاد؛ وخروجا من الفتنة والقلاقل، فرسم الشاعر بريشته تلك الأحداث في قصيدته التي قال فيها:

قال أبو سلام الكندي في فتح نخل (بحر الكامل)[١]:

روتِ السيوفُ تصادمَ الأقرانِ ... وحكى الصحاحُ مصارعَ الشجعانِ
فاستحسنَ الإسنادُ حسنَ رويّها ... فتسلسلتْ منْ صارم وسنانِ
نقلتْ صحائفُها الصحاحَ وترجمتْ ... أيدي الكماةِ عواليَّ الأمرانِ
فتحدثتْ قراؤها إذْ شاهدتْ ... يومَ الكريهةِ ملتقى الجمعانِ
نقضتْ بنو حراصَ عهدَ إمامِهمْ ... وعتوا عتوًّا معْ بني ذبيانِ
وانضمْ جندُ الغافريَّةِ عندهمْ ... بجموعهمْ كالوابلِ الهتانِ
جاءوا كآسادِ الوغى يتقحّموا ... يتهافتونَ تهافتَ العميّانِ
في موكبٍ مثلَ الصقورِ يقودُهمْ ... زهرانُ في ركبٍ منَ الشجعانِ
حاطوا على نخلٍ ومدّوا جيشهمْ ... فيها وصالوا صولةَ السرحانِ
مدوا خميسهمُ على أبراجِها ... وتحصّنوا فيها على البنيانِ
والحصنُ أشعلَ نارَهُ ببروجِه ... حتَّى غدا يربو على كيوانِ
لم تثنِهِ صعقاتُ وائلَ حولَهُ ... يرجو انتصارَ الواحدِ الديانِ
دامَ الحصارُ عليهِ شهرًا كاملاً ... ويُرى حصارُ القومِ كالهديانِ
غدرتْ بهِ نخلٌ وخانتْ عهدَها ... لم ترعَ حقَّ الجارِ بالإحسانِ
ماذا دهى نخلاً وماذا غرّها ... في نقضِها عهدًا عظيمَ الشانِ
بالأمسِ أنقذكِ الإمامُ منَ الأسى ... وكساكِ ثوبَ العزِّ بعدَ هوانِ
فأتى الصريخُ إلى الإمامِ بمحرمٍ ... كي يخبروه مكائدَ العدوانِ
لبَّى نداهمْ في خميسٍ أرعنٍ ... كالبحرِ ماجَ بشدةِ الطوفانِ

١) أبو سلام الكندي، ديوان نشر الخزام، ص٦١- ٦٤.

فأتى وناخَ بدارِ شمسٍ جيشُهُ ... فاستبشرتْ بقدومِهِ الثقلانِ
فأتتهُ أنصارُ الإلهِ جميعُهمْ ... منْ آلِ عدنانٍ ومنْ قحطانِ
بعثَ الإمامُ إليهمُ بنصائحٍ ... أن يرجعوا فأبوا عنِ الإذعانِ
فدعاهمُ للهِ دعوةَ مخلصٍ ... أن يرجعوا عنْ طاعةِ الشيطانِ
وإلى الشريعةِ والكتابِ دعاهمُ ... فأبوا وقالوا ليسَ بالكتمانِ
لم نرضَ غيرَ السيفِ يحكمُ بيننا ... في حكمِهِ عدلٌ على الإنسانِ
لما رأى أنَّ النصائحَ فيهمُ ... لم تغنِ نفعًا غير قمعِ الجاني
فدعا الإمامُ جنودَهُ فتقدموا ... في لمحةٍ كالبرقِ في اللّمعانِ
ساروا وسارَ إمامُنا في جحفلٍ ... سترَ العيونَ بغبرةٍ ودخانِ
ركضَ الإمامُ بجيشِهِ وأميرُنا ... عيسى يجولُ بحومةِ الميدانِ
لم يشعروا إلاَّ البنادقَ ترمِهمْ ... برصاصِها كالوابلِ الهتّانِ
صاحوا عليهمْ صيحةً ملأتهمُ ... رعبًا وجالوا جولةَ الثعبانِ
فهناكَ بانَ أخو البسالةِ إذْ غدتْ ... روسُ الرجالِ تطيرُ والأقرانِ
اللهُ أكبرُ يا لها منْ وقعةٍ ... تركتْهمُ صرعى على الحيطانِ
سالَ الدماءُ بأرضِها وشعابِها ... فجرتْ على الهضباتِ والوديانِ
للهِ وقتٌ ذوبتْ نيرانُهُ ... غشَّ النفاقِ وفرّ كلُّ جبانِ
منَ فرّ منْ رمي البنادقِ حسبُهُ ... ضربُ السيوفِ وطعنةُ الفتيانِ
خربتْ ديارهمُ وأمسوا عبرةً ... في كلّ مصرٍ، بلْ بكلِ مكانِ
في عاشرِ الحجِ المحرّمِ رفرفتْ ... راياتُهُ وتقابلَ الخصمانِ
للهِ يومُ النحرِ[33] في نخلٍ غدتْ ... جثثُ الرجالِ فريسةَ الغربانِ
ترمي الجمارَ قسيُّهمْ ونبالُهمْ ... وسيوفُهمْ صلّتْ على الأذقانِ
صارت منى نخلٌ وصارَ طوافُهمْ ... فيها وصارتْ كعبةَ الجيشانِ
فتفرّقتْ آراؤهمْ وجموعُهمْ ... باءتْ وباءَ القومُ بالخسرانِ

ولّـوا علـى أدبـارِهـمْ لم يلبثوا ... فيـها وكـانَ النـصـرُ للـقـرآنِ
بشرايَ قدْ جاءَ البشيرُ مهنئًا ... بالنصرِ منْ ربي العليّ الشانِ
نُشرتْ له الأعلامُ منْ فرحٍ وقدْ ... تاهتْ عُمانُ بهِ على البلدانِ
هجمَ السرورُ عليّ حتَّى أنهُ ... منْ عظمِ ما قدْ سرّني أبكاني
لا غروَ إنْ نصرَ الإلهُ محمَّدًا ... فلقدْ حباهُ اللّه بالإيمانِ
فليفخرِ الإسلامُ قاطبةً لهُ ... فخرًا يراهُ الدهرُ كالعنوانِ
دمْ يا إمامَ المسلمينَ مظفرًا ... بالنصرِ والتأييدِ والإمكانِ
وإليكَ يا منصورُ مني مدحةٌ ... قدْ رصّعتْ بالدرِّ والعقيانِ
جاءتكَ تسعى منْ محبٍ مخلصٍ ... فغدتْ برأسِ القومِ كالتيجانِ
أخرستُ قلمي برهةً لمْ أنظمنْ ... شعرًا ولا مدحًا لدى سلطانِ
حتَّى أتى هذا البشيرُ مخبّرًا ... بالفتحِ منكَ تحرَّكتْ أشجاني
يا ربُّ وفّقني لنصرةِ دينِهِ ... واختمْ رجائي منكَ بالغفرانِ

القصيدة العربيَّة عبر تاريخها الطويل، لم تخرج عن بعدها الهيكلي الخارجي، الذي اعتمد على البحر العروضي والقافية المطلقة أو المقيدة، وما ارتبط به النص من مقدمة وموضوع وخاتمة، وكذلك نرى - في الغالب - أن البنية الدَّاخليَّة لهذه القصيدة العربيَّة لم تخرج في بنائها عن البعد التراثي، من حيث التكوين المعجمي، واللغة التصويرية، إلاَّ أن الشعراء من زمن لآخر يحاولون الخروج عن ذلك التأطير الذي حدده القدماء لبناء النص، فتجد الشاعر يلج إلى نصه مباشرة، غير متوقف على الأطلال والدمن، والنسيب والغزل، مشتغلا بالفكرة التي يريد تأسيسها لنصه، وهو ما برز عند لغة الشاعر أبي سلام؛ حيث ولج إلى البعد النصي، متعديا المقدمة، داخلا بمفرداته الدلالية إلى أرضية المعركة؛ واصفا المعترك. فالمطلع الذي بدأ به نصه "روت السيوف تصادم الأقران..." يوحي بتحقق الحدث، وانتهاء المعركة لصالح الإمام، من خلال صيغة الماضي التي صُدِّرت بها تلك المتتاليات النصية، والتي جاءت ضمن نسيج اللغة المدحية:

روت السيوف تصادم الأقران وحكى الصحاح مصارع الشجعان
فاستحسن الإسناد حسن رويها فتسلسلت من صارم وسنان
نقلت صحائفها الصحاح وترجمت أيدي الكماة عوالي الأمران
فتحدثت قراؤها إذ شاهدت يوم الكريهة ملتقى الجمعان

فالأفعال الماضية: "روت" + "حكى" + "فاستحسن" + "فتسلسلت" + "نقلت" + "ترجمت" + "فتحدثت" + "شاهدت"، جاءت بصيغة الحدث المنصرم، وبدلالة صوتية واحدة. فالرويُّ، والحكي، والنقل، والتحدث = الرويَّ الأمين لتلك المشاهد، وذلك ما أراده الشاعر في بعده التصويري.

تلك المفردات السابقة، قرأت التعاون المثمر بين القائد وجنده، وما تجلّى من بُعد إيجابي في ذاتية المتلقي المنتصر، وسلبي في ذاتية المهزوم، فالمنتصر كانت له مكافئة معنوية، ووقود نفسي لمواصلة ذلك الحماس ضد خصمه، والمتلقي السلبي - العدو - كانت له قاصمة بهزيمته الحسية والمعنوية؛ لذلك حققت المفردات السابقة بعدين إيجابيين.

إن الأفعال باستقلالها، لا تعطي معنى مفيدا، إلاَّ إذا ارتبطت بالسياق النصي: "فروت السيوف" في قاموسيتها لا تفيد سوى نقل الخبر؛ لكن بانسجامها مع سياقية العبارة التالية أتت بمعاني جديدة، وحملت دلالات أفادت نشوة النصر، خاصَّة عندما تآزرت جميع تلك الأفعال الماضية في عمليَّة نقل الحدث، ومن هنا نستطيع القول بأن الخلق الدلالي يأتي نتيجة التفاعل اللغوي والصوتي.

إن شخصيات القيادة تختلف في تكوينها، وتتباين في سلوكها ومكوناتها؛ نظرا لأساس تكوينها ومحيطها المكاني والزماني؛ لذلك نجد - غالبا - تمجيدا للحكام والأمراء من قبل شعراء عصرها؛ نظرا لما ينالوه من سخاء وعطاء، نظير ذلك. إلاَّ أن هذه النظرية ليست مطردة، فشخصية - الإمام الخليلي - مرموقة، كونتها سلوكيات إيمانية، وربّتها روح التضحية؛ ممَّا أثنى عليها العَالم قبل الجاهل، وخلدتها تضحياتها وإخلاصها لوطنها، فحريٌّ بها أن تنال إعجَاب الشعراء، لا لمقابل العطاء، بل مقابل ما قدمته من تفانٍ في سبيل عزة الإسلام. هذا ما قرأه

النص في صفات هذه الشخصيَّة الفذة، شخصيَّة الإمام الخليلي.

بعد أن نقل الشاعر صورة مختصرة لمروية النصر، انتقل من البعد العام إلى البعد التفصيلي لمجريات المعركة، كيف حدثت؟ وما هي الأسباب التي أوجبت على الإمام اتخاذ هذا القرار لخوض المعركة؟

- نقضت بنو حراص عهد إمامهم، وعتو عتوّا مع بني ذبيان.
- غدرت به نخل وخانت عهدها.
- ماذا دهى نخلا وماذا غرها.
- بالأمس أنقذك الإمام من الأسى.
- فأتى الصريخ إلى الإمام بمحرم.
- لبّى نداهم في خميس أرعن.

الأفعال: "نقضت" + "غدرت" + "عتوا" + "خانت" أفادت خيانة القوم ومخالفتهم للإمام، في دلالة على الحدث المنصرم، وأبانت السلوك الخاطئ الذي مارسه هؤلاء القوم، فجاءت المفردات النصية بلغة تتقدمها الخطابية والشفافية؛ إيضاحا وفضحا لذلك السلوك الشائن، وتأكيدا لحدوث تلك الأفعال، جاءت مكونات النص بصيغة الماضي، كما أن التكرار الدلالي المؤكد لتلك الصفات الذميمة؛ جعل الإمام يفكر في إيجاد حل لهذه الإشكالية العميقة، فكان قراره في العلاج متدرجا، كما أفادته سياقية النص:

- بعث الإمام إليهم بنصائح.
- فدعاهم لله دعوة مخلص.
- وإلى الشريعة والكتاب دعاهم، فأبوا وقالوا ليس بالكتمان.

القيادة الحكيمة التي يتميز بها الأئمة والقادة والحكام، لم تكن وليدة اللحظة؛ بل نتيجة تربية عميقة، وفكر مستنير، وفقه حربي. لذلك لم يتعجل الإمام الأمر في مقاتلة القوم، بل بدأ بخطوة الدعوة لنصحهم ومحاججتهم بالأدلَّة والبراهين،

علهم يستجيبوا لنداء العقل، إلاَّ أنَّهم حكّموا أهواءهم وأصروا على المخالفة؛ ممَّا اضطر الإمام لمقارعتهم، وإحقاق الحق، وردع الباطل. وهذه الحنكة والحكمة تعد أسا مهما في الشخصيات القيادية، وهي ما اتسمت بها شخصيَّة الإمام الخليلي، وقد حققتها أبعاد الجمل الفعلية:

- فدعا الإمام جنوده فتقدموا.
- ساروا وسار إمامنا في جحفل.
- ركض الإمام بجيشه.

لقد أفادت الجمل السابقة، الخطوات التي اتخذها الإمام في معالجة الإشكالية، والمتمثلة في عدم استجابة الخصم للخضوع تحت إمرة القيادة العامَّة؛ ممَّا جعل الإمام الخليلي يصدّر أمره لإخضاع المناوئين. كما أن النص لم يغفل تسجيل المشاركة الفاعلة من قبل القائد، ونزوله الميدان؛ قدوة وأسوة لأتباعه، وهذا ما حققته المتتاليات النصية بصيغها الماضوية الدالة على الممارسة الواقعية لقيادة المعركة.

لم تكن تتابعات اللغة بعيدا مفهوميا ودلاليا عن المتلقي، فالقراءة الأولى لمستوى النص تعطي الغاية والهدف، وما سطحية المعجم الذي سيطر على مستوى البناء في غالب النص، إلاَّ أمرا قصديا؛ تحقيقا لإعلان هذه المبادئ لدى المتلقي الإيجابي والسلبي، المتجسدة في مشاركة الإمام قومه في المعركة. كما أن الدلالات التي ساقتها الجمل السابقة تمحورت حول بعد يتمثل في الشخصيَّة الحازمة الجادة، والتي تتملك القدرة على اتخاذ القرار الإيجابي بدون توان، وبسرعة يتطلبها الموقف في تنفيذ ما شرع تنفيذه؛ مصلحة للوطن وأتباعه، وهو ما تبدّى جليا من دلالات بناء جملته الفعلية، والتي جاءت في سياق الماضي.

إن اللغة التعبيرية لمستوى النص تتباين من شاعر لآخر، حسب مقومات البناء اللغوي والخيال التصويري، وقد تمثلت هذه القدرات عند مجموعة من شعراء العربيَّة القدماء والمحدثين، فجاءت سرديات نصوصهم مختلفة باختلاف المحيط البيئي، والمقوم التصويري، والدافع الشعوري. وأبو سلام قدّم للمتلقي نصا شعريا حاول استنطاق الحدث من خلال متتالياته الفكرية بلغة جملية، تمظهرت بأسلوب

خطابي سردي بديع، تجلت في مفرداته لغة الناقل والمصور، وكأنه صحفي يصور المشهد بعد إعلان نتيجة النصر:

بشراي قد جاء البشير مهنئا... ..... .

نشرت له الأعلام من فرح... ... .

هجم السرور عليّ... ... ...

لا غرو إنّ نصرَ الإلهُ محمَّدًا... ..... .

فليفخر الإسلام قاطبة له... ... ...

"فجاء" + "نشرت" + "هجم" + "فليفخر" أفعال دلت على البعد الماضوي، وما أثارته من تعبيرات، عمقت الروح الإيجابية لدى المتلقي من خبر النصر، وسجلت في نفس السياق مدلولات سلبية في ذاتية الخصم، وبذلك حققت اللغة السياقية المطلوبة.

ويمكننا القول بأن اللغة السردية سيطرت على الجملة في النص؛ كونها جاءت بلغة خبرية تصف الحدث، إذ لم يكن للجملة الإنشائية ذلك الحضور المباشر، مثل ما كانت عليه الجملة الخبرية؛ وذلك يوصلنا لنتائج ترتبط بالبعد الدلالي:

- إذ النص كان بعده مدحيا راويا لسيرورة المعركة، وما ارتبطت به من وقائع وأحداث تخللت ذلك الحدث.

- كما أن أمر البت في تلك المشكلات التي حدثت للإمام، جاءت بقرار حازم وسريع؛ نتيجة استفحال المشكلة.

- والنص بأبعاده الدلالية، حقق اللغة التي من أجله تأسس النص، فجاءت لغته سهلة مباشرة؛ تحقيقا للبعد النفسي، الذي هدفه بعث الروح المعنوية في ذاتية الممدوح وجنده المخلصين، وعليه حقق بعدا آخر، تجلّت مرجعياته في الاستمرار والصمود؛ عزًّا ومنعة للوطن العزيز.

- إن المفردة باستقلالها عن تاليتها لا تعطي بعدا دلاليا، حتَّى تتعانق لغة وتركيبا

مع رديفتها، وبذلك يتشكل البناء؛ ليعطي بعدا ذا دلالة عبر الرسالة القصدية التي بثتها أجهزة المرسل عبر رسالة إلى المتلقي.

المعجم وبعده الدلالي:

تتشكل القصيدة العربيَّة من مفردات مترابطة متناسقة، يحكمها القالب العروضي الخليلي، وتتجلى أبعاد النص الدلالية من جراء مكوناته المعجمية. فالمعجم الشعري يبرز في القصيدة؛ لكونه جزءا مهمًّا في بنائها، ويعكس المستويات المختلفة لواقع القصيدة، دينية، وثقافية، واجتماعيَّة، وتاريخية، بشكل عام؛ فهو يمثل الرصيد الخام الذي يتألف منه الكلام. فالشاعر ينتقي من مفردات اللغة ما يتلاءم وتجاربه؛ ممَّا يجعل ذلك الاختيار حرا لمفرداته، حسب ما يقتضيه الموقف الشعري.

إن النص الشعري يمثل في ذاته وبصورة خاصَّة لغة منظمة، هذه اللغة موزعة إلى وحدات لفظية، بحكم أن هذا يُعد أبسط المحاولات وأكثرها تلقائية في توزيع النص إلى وحدات دالَّة[1]. هذه الوحدات المستعملة تندمج ضمن شبكة لغوية واسعة، إمَّا أن تبقى مرجعيتها سطحية، وأمَّا أن تتولد منها لغة جديدة، حسب السياق الذي يفرضه النص، فتولُّد لغة جديدة جاء نتيجة انزياح عن اللغة العادية. وعليه فـ"الشعر يُعبِّر عن مفاهيم وأشياء تعبيرا غير مباشر"[2]، وأنَّه يعبر تعبيرا مباشرا فيفقد شعريته.

إنَّ المجال الدلالي للشعر يختلف باختلاف الشاعر والتجربة، فمنه ما كان ملامسا للحياة اليومية، يهتمُّ بجزئياتها الرتيبة، لكنَّها دلالات مفهومة، يقبلها العقل والفهم، لذلك فهذه الصور يمكن أن تستوعبها دونما حاجة إلى مقاييس وشروط؛ كون مجالها التصوري الإدراكي لا يتعدَّى حدود قراءتها الأولى، فحقولها الدلالية "التي يتكون منها المجال الإدراكي عند الإنسان، لا تحتاج حين نتواصل في شأنها عبر اللغة الطبيعية إلى العقل والفهم الثاقب، والقبول والاصطفاء، والاستئناس بالقرائن؛ لأنَّها حقول متماهية مع هذه اللغة، ومنظمة بحسب معطياتها الصوتية،

١) لوتمان، يوري: تحليل النص الشعري، ترجمة حمد أحمد فتوح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٩٩م، ص١٧٣.
٢) مايكل ريفاتير: دلائليات الشعر، ترجمة ودراسة: محمَّد معتصم، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط١، ١٩٩٧، ص٧.

والصرفية، والاشتقاقية والتركيبية إلى الحدِّ الذي يجعل كل حقل دلالي نتيجة مباشرة لنظام اللغة أو بنيتها، وهو ما يسفر عن تداول هذه الحقول تداولاً مشتركا يظل هو نفسه في كلِّ وضع تواصلي ضمن حياتنا اليومية"[١]، وليس معنى ذلك أن اللغة المفهومة هي لغة مُبتذلة، وإنَّما تنازلها إلى لغة مباشرة وخطابية، بَعُدت وحداتها الإخبارية عن اللغة التصورية التي يمكن أن يُنشئ القارئ منها لغة جديدة، تولّدت من وحداتها اللغوية.

كما أن تجربة الشعر تنساق ضمن اللغة التي ينتجها التفاعل بين الشاعر وما حوله، فقد يفرض الواقع الشعري لغة تواصل بين الباث والمتلقي؛ لتحقيق البُعد الشاعري الذي أرادته التجربة الشعرية، فكأن أقرب للغة الطبيعية؛ تعالقا مع الواقع، وضمن هذا السياق نقف مع نص شعري كونته مفردات أريد منها تحقيق أبعاد ارتسمت في ذاكرة الباث، تحمل بين مكنوناتها سياقية نصية، تتمثل في بث لغة الفرح؛ ابتهاجا بالنصر، بأسلوب خطابي مباشر؛ إيصالا لدوال النص للمتلقي العادي.

قال أبو سلام الكندي في موقعة عبري (بحر البسيط):

اليومَ أصبحَ هذا القطرُ مبتسما ... وأصبحَ الدهرُ يبني كلَّ ما هُدما
وقدْ غدا الناسُ كلاً عندَ صاحبِهِ ... مهنئًا فكأنَّ العيدَ بينهما
وأسمعُ النقعَ منْ فوقِ القلاعِ على ... كلِّ حصنٍ غدا في رأسِهِ علما
وقفتُ أسألُ ما هذا السرورُ وما ... تلكَ البشائرُ هلاّ موكبٌ قدما
فقيلَ إنَّ إمامَ المسلمينَ أتى ... منهُ البشيرُ وقدْ دانتْ لهُ العظما
فقمتُ أنظمُ أشعاري أهنئهُ ... والمسلمينَ ومنْ في سلكِهِ انتظما
ولما غدتْ أرضُ عبري والذي شملتْ ... منَ البلادِ تحيّي السيّدَ العلما
أضحتْ جميعُ بلادِ السرِّ طائعةً ... تطالبُ العفوَ منهُ تسألُ الذمما
كأنما عرفتْهُ قبلَ رؤيتِهِ ... لّما رأتْهُ كفاها البؤسَ والنقما

١) بلمليح، إدريس: المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٩٥م، ص٤٢٤.

كمْ رامَها قبلَهُ قومٌ وقدْ عجزوا ... عنْ نيلِها فسقوا منْ كأسِها ندما
لّما أتيتَ إليها يا بن بجدتِها ... جاءتْكَ عفوًا بهذا اللّه قدْ حكما
محمَّد نجلُ عبد اللّه أنتَ لها ... فقمْ إليها وعاملْها بما لزما
إنِّي أهنيكَ والإسلامَ قاطبةً ... فاشكرْ إلهكَ منْ أسدى لكَ النعما
بشرى لكمْ يا رجالَ السرِّ إنَّ لكمْ ... بصفحةِ الدهرِ غفرانٌ لكمْ رسما
وكمْ لكمْ منْ حميدِ الذكرِ أنشرُهُ ... ومفخرًا نلتموهُ، أيُّها الكرما
إذْ صرتمُ لإمامِ المسلمينَ يدًا ... وسيفَ حقٍ إذا ما ظالمٌ ظلما
يا أيُّها العُربُ هبّوَا منْ مراقدِكمْ ... فاليوم أصبح جرح الدين ملتئما
وأسمعوني قراعًا منْ كتائبكمْ ... فإنَّني لستُ أرضى غيرَها نغما
حتَّى أرى ضنكَ بعدَ الضنكِ في سعةٍ ... من عيشِها وأرى منْ حولِها حرما
يا خيرَ يومٍ تجيئُ الرسلُ تخبرُنا ... أنَّ الإمامَ بضنكٍ يجمعُ الكلما

تأسست لغة النص السابق بجمل تداخلت بناها بين الخبر والإنشاء، تحكي لنا بأسلوب سردي حادثة الانتصار الذي تحقق على يد الإمام وجنده. تلك المفردات النصية جاءت بصيغة الجملة الماضوية، وقد تصدرت مقدمتها دلالات الزهو والفرح؛ تعبيرا عن الإعجاب الذي قُدِّمَ من قبل الفاتحين. ذلك الاستهلال أعطى المتلقي شحنة إيجابية، وفي المقابل بثت نفس المفردات السابقة إشارات سالبة للمتلقي الضد/ العدو:

- أصبح هذا القطر مبتسما.
- أصبح الدهر يبني كلما هدما.
- وقد غدا الناس كلا عند صاحبه مهنئا.
- وقفت أسأل ما هذا السرور وما تلك البشائر.
- فقيل إن إمام المسلمين أتى منه البشير وقد دانت له العظما.

لقد صاغ الشاعر مفرداته النصية بمعاني دلت على التحول "أصبح" + "وقد

غدا". ولم يكتف الباث بتلك اللغة الوصفية الخبرية، بل جسَّد إيقاعات صوتية تجلت من خلال الأسلوب الذي انتقل من الجملة الخبرية إلى الجملة الإنشائية "وقفت أسأل ما هذا السرور"، ثمَّ تحولت صيغة النص إلى لغة الحوار التي بنى عليها متتالياته الفكرية: "وقفت أسأل، فقيل إن إمام المسلمين منه أتى البشير". هذه المفردات بمباشرتها وسطحيتها، كونت لدى المتلقي بعدا جديدا، أوحت بلغة التحوُّل من البؤس والحزن إلى السرور والطرب؛ نتيجة لما حدث من لَمِّ للشمل، واتحاد القوم بعد التفرق؛ حقنا للدماء.

كما بعثت تلك الأخبار السارة لدى الشاعر نشوة الزهو والإعجاب، فجاءت صوره في غاية الإبداع، وكأنه يعيش الحدث رؤية وقلبا؛ وذلك ما ترجمته الدلالات التعبيرية التفصيلية لمجريات المعركة، والدور الكبير الذي قام به قائد الميدان ومن معه. تلك الأحداث الإيجابية أيقظت شاعرية الشاعر ففجرتها.

- "فقمت أنظم أشعاري أهنئه، والمسلمين ومن في سلكه انتظما".

لقد وضحت الدوافع التي نطق بها النص من خلال الاستهلال الذي افتتح به نصه الشعري، حيث جاءت مفرداته المعجمية مبرزة ما يمتلكه الخليلي من قوة وحنكة واقتدار؛ لما تحقق على يديه من استقرار وأمن:

- غدت أرض عبري..... تحيِّ السيد العلما.

- أضحت جميع بلاد السرِّ طائعة.

- تطالب العفو منه.

- كأنما عرفته قبل رؤيته.

- كفاها البؤس والنقما.

- لما أتيت إليها..... جاءتك عفوا.....

لغة التحول بدت واضحة في الصيغة المعجمية التي بنى عليها الشاعر فكره ودلالته، وكأن السياق يضمر مرجعية سابقة، قرأتها لغة النص الإيحائية. فأمر البلاد كان معوزا، وسلوكيات خاطئة تحولت إلى بعد إيجابي مقبول، أعلمتنا بها

منطوقية النص. "ولما غدت أرض عبري....." + "أضحت جميع..... . طائعة". هذه المفردات بتواليها المنظم المسبوك، وبإيقاعيتها الصوتية المتداخلة مع البناء التركيبي، عبرت عن الجديد والمختلف، وكأن الشاعر عقد مقارنة بين سلوك شائن قد كان – وهو فعل غير مقبول –، وسلوك راق فرح به الجميع. ثمَّ تولدت من النص مفردات شكلت بعدا تناسق والسلوك الذي اشتهر به هذا الإمام: من شيمة ونجدة وشهامة ومروءة، هذه السلوكيات ينتظرها أهل تلك الديار منذ زمن؛ ممَّا جعلهم يرفعون له التحية عالية خفاقة "تحيِّ السيد العلما + عرفته...". ثمَّ تواصلت الدلالات متدفقة في رسم لوحة جديدة عن هذه العطاءات التي قدمها لهم هذا الإمام، وكم كانوا ينتظرونها. وقد تمثلت تلك اللوحة في ترجمة سلوكه، كونه كفاهم البؤس والعوز، والمذلة والحاجة، والدكتاتورية المتعالية التي سيطرت عليهم من قِبل عِلية القوم الذي "لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمَّة"، "كفاها البؤس والنقما". وبذلك السلوك الإيجابي، جاءت ردة الفعل بنفس المستوى من الطرف المقابل.

- "لما أتيت إليها يا ابن بجدتها".
- "جاءتك عفوا...".

العبارتان السابقتان شكلتا لغة صوتية ارتدادية، أنبأت عن سرعة الاستجابة، فكل فعل له رد فعل مساو له في المقدار، مخالف له في المعنى. فالسلوك الحميد الذي جاءهم به، كانت نتيجته تلبية الدعوة، والطاعة والالتفاف حوله؛ غاية في تحقيق المثل العليا، والوحدة والقوة. كما أن تلك المعاني أفادت عمق الدور البارز الذي قام به؛ خاصَّة تأمين الثغور، فعبري أرض لها امتداد مع دول مجاورة، كانت لها أطماع في الامتداد والتوسع. وتأمين هذه الثغور مهم جدًّا للاستقرار الأمني والاجتماعي. وهو ما ساد بلاد السر بعد أن عادت إلى دولة الإمام الخليلي.

والبعد الموضوعاتي لقصائد المديح في القصيدة التراثية، شأنها تعداد المناقب، وإبراز الصفات الخَلقية والخُلقية، هذه اللغة المدحية اعتادها المادحون، لكننا إزاء معجم جديد انزاح بمفرداته إلى لغة تبدّت فيها لغة امتزاج المدح بالنصح والإرشاد، مخالفة بذلك مضمون بنية القصيدة الجاهلية في موضوعاتها. وهذا ما

لا يمكن تقبله من قبل الممدوح؛ خاصَّة إذا كان الممدوح من ذوي القيادة والحاكمية والسلطة. ويُعزى ذلك إلى ثقافة الشاعر الدينيَّة، التي ترى بأن المجاملة ليست من السلوكيات المرتضاة دينًا. وفي الصورة المقابلة، نجد أن الإمام قد تربى على منهج القرآن، الذي يشعر بالأريحية عندما تُقَدَّمُ له مثل هذه النصائح والمقترحات، هذا السلوك قلما نجده اليوم عند أهل القيادة والحكم. وذلك قوله:

- فقم إليها وعاملها بما لزما.

- فاشكر إلهك من أسدى لك النعما.

بعد هذا السياق تحولت لغة المعجم النصية إلى تهنئة أهل عبري، ودعوته لهم بالوقوف مع هذا القائد بكلٍّ بما يملكون:

- بشراي لكم يا رجال السر... ...

- وكم لكم من حميد الذكر أنشره..... .

- ومفخر نلتموه... ...

- إذا صرتم لإمام المسلمين يدا وسيف حق... ...

لم تتوقف المفردات الدالة عند المدح والتهنئة ووصف ما حدث؛ بل جاء بمفردات تعلوها روح الخطابة والاستنهاض؛ دفعا للهمم، ووقوفا صفا متينا مع هذا الإمام، وعدم الغدر به وخيانته؛ لذلك نقرأ في معجمه نبرة القوة والجزالة كقوله:

- يا أيها العرب هبوا من مراقدكم.

- وأسمعوني قراعا من كتائبكم.

- حتَّى أرى ضنك بعد الضنك في سعة.

لغة الاستنهاض هيمنت على المستوى النصي ببعدها ومحمولها الدلالي. فالقصيدة لم تكن غايتها ذلك المدح المتمثل في إبراز صفات الممدوح، أو وصف ما حدث وصفا دون بعد سياسي مازج نصية المعنى. وبتلك اللغة التواصلية عبر أجهزتها المختلفة، استطاع الباث برسائله بث كل ما اعتور في جهازه الذهني؛

محققا لغة قصدية، تمثلت في أبنيته الإنشائية المؤسسة على النداء، ولغة الأمر الطلبية، وذلك ممَّا حقق روح القوة والاستنهاض لدى المتلقي؛ حتَّى يكون صفا متينا مع قائده؛ محافظا على روح الأمن والاستقرار التي ينشدها كل مواطن.

انتهت القصيدة بهيكلة ضارعت فيها القصيدة الجاهلية، واضعة خلاصة ما تحدثت عنه، ملخصة جميع الأبعاد التي ناقشتها بين مستوياتها المختلفة: الإيقاع والتركيب والمعجم والدلالة. وجاءت خاتمة النص بلغة تفاؤلية، وهو ما يطمح إليه الجميع ويتمناه:

يا خير يوم تجيء الرسل تخبرنا أن الإمـام بضنك يجمع الكلما

خاتمة:

حاول البحث تقديم قراءة بنيت على منهج التلقي والوصف والتحليل والتأويل، لقصائد مارست سلطتها في إبراز الحركة السِّياسيَّة، في عصر اكتنفته تداخلات قَبَلية ومكانية وزمانية. وقد حكت النصوص السابقة، التفرق والتمزق الذي عاشته عُمَان إبان هذه الحقبة من الزمن. وعليه سجلت قصائد أبي سلام الكندي ما نهض به الإمام الخليلي من دور بارز في توحيد قرى ومناطق عُمان. هذه النصوص بشعريتها، أوقفتنا على شخصيَّة الإمام الخليلي الفذة، والدور المضيء الذي تبلور في عصره واستضاء به مجتمعه، حتَّى بقيت أشعته مضيئة إلى عصرنا هذا.

قدّم البحث بُعدين تعلقا بالجانب التركيبي والمعجمي، وما أحدثاه من بُعد دلالي، جلّته النصوص الشعرية باكتنازاتها الدلالية ولغتها التواصلية. وقد جاءت هيكلة النص الشعري الخارجي مع أبي سلام، محاكية النص القديم في: الوزن والقافية، ومكوناته الأخرى. وأوجدت البنية التركيبية للنص عند أبي سلام انسجاما لغويا، تجسدت من خلالها أبعاد النص الدلالية: الإيحائية والمفهومية. وعند تأمُّل المفردات المعجمية التي تكررت على مستوى النصين، نجدها تحمل لغة واضحة؛ غايتها إبراز صفات القائد الشهم، والدعوة للوقوف معه؛ حماية للوطن. وقد اتسمت لغة النص الشعري عند أبي سلام، بالخطابية والمباشرة؛ كونها تدعو

إلى التحفيز والاستنهاض، والمدح الإيجابي.

وختاما توصي الدراسة الباحثين بقراءة معمقة، وأكثر مساحة زمانية ومكانية، لنصوص أبي سلام، الذي اشتهر بشاعر الحرية والوطنية، وما نفيه خارج أرض الوطن إلاَّ دليل قوي لصوته الحر.

المصادر والمراجع:

- أبو بشير السالمي، محمَّد شيبة بن نور الدين: نهضة الأعيان بحرية عُمان، مكتبة التراث، القاهرة، د. ت.
- أبو سلام الكندي، سليمان بن سعيد: ديوان نشر الخزام، إعداد: عيسى السليماني، ومحسن الكندي، ومصطفى الكندي، ط١، ذاكرة عُمان، مسقط، ٢٠١٦م.
- بلمليح، إدريس: المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٥م.
- الطريسي، أحمد: النص الشعري بين الرؤية البيانية والرؤيا الإشارية، المغرب، مرقون بمكتبة الباحث، د.ط، د.ت.
- الطوانسي، شكري: مستويات البناء الشعري عند محمَّد إبراهيم أبي سنة، دراسة في بلاغة النقد، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- لوتمان، يوري: تحليل النص الشعري، ترجمة حمد أحمد فتوح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٩٩م.
- مايكل ريفاتير: دلائليات الشعر، ترجمة ودراسة: محمَّد معتصم، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط١، ١٩٩٧م.